المحاضرة 6: الأدب الإسلامي المقارن

إنّ ما يتبادر إلى أذهاننا بمجرد سماع هذا العنوان هو المرجعية الدينية الإسلامية- تحديدا- لهذا الأدب، ورغم أن الأدب العربي لم ينفصل منذ ظهوره عن الروح الدينية التي تغذى منها خاصة مع مجيء الإسلام، إلا أن هذا المصطلح لم يظهر في الساحة الأدبية إلا حديثا ، ولعل ما يمكن فهمه من هذا المصطلح هو تلك الحمولة الشعورية المعزّزة بالطاقة الروحانية والدينية الموجّه للإنسانية جمعاء. ويمكن فهم المصطلح أكثر مع العناوين الآتية للمحاضرة

مفهوم الأدب الإسلامي:

الأدب الإسلامي رغم أصالته وامتداد جذوره إلى العهود الأولى من تاريخ الأدب العربي؛ إلا أنه من حيث الاصطلاح لم يظهر إلا مع مطلع خمسينيات القرن التاسع عشر ميلادي

ظهر مصطلح (الأدب الإسلامي) في سياق الدعوة إلى الالتزام بالإسلام وأسلمة جميع مناحي حياة المسلم الثقافية والفكرية والعلمية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها، وقد استعمل للدلالة على الأدب الذي ينطلق من نظرة الإسلام أو من التصور الإسلامي ليعبر عن آلام المسلمين -بصفة خاصة- وآمالهم، والإنسان -بصفة عامة- وليصوغ تجربة الأديب المسلم الإبداعية صياغة لغوية فنية بديعة آسرة، تحمل المضامين الفكرية والوجدانية المقبولة إسلاميا على تعددها وثرائها في أشكال مستحسنة فنيا على تنوعها وغناها.

وقد تصدّر تلك الدعوة **أبو الحسن الندوي** (1333هـ/1914م-1420هـ/2001م)، وقد أشار عبد الرحمن رأفت الباشا إلى ذلك حين قال: "وقد كان أول من كتب في الموضوع ونبه إليه فضيلة العالم العامل الشيخ (أبي الحسن الندوي)، وذلك **حين اختير عضوا في المجمع العلمي العربي في (دمشق).** حيث قدم بحثا دعا فيه إلى إقامة أدب إسلامي، والعناية به، فكان أول الداعين إلى ذلك وطليعة المنبهين إليه."[i] **وقد حمل ذلك البحث عنوان (نظرة جديدة إلى التراث الأدبي العربي)، وقد اكتملت أبرز ملامح صورة البحث في كتابه (نظرات في الأدب)** الذي تولت رابطة الأدب الإسلامي العالمية إصداره.[ii] وهو -كما يقول عبد الباسط بدر في تقديمه-" كتاب تنظير وتقعيد، أقرب إلى أن يكون بيان مبادئ للأدب الإسلامي، يؤصل بشكل مباشر وغير مباشر مجموعة من الأعراف الأدبية والنقدية."[iii]

ثم تبعه **سيد قطب** في مقال له، نشر بعد ذلك **في كتابه (في التاريخ فكرة ومنهاج).**[iv] **وفي كتابه (النقد الأدبي أصوله ومناهجه)** حيث ورد فيه حديث عن منهج الأدب الإسلامي.[v] وقد كانت دعوتهما بمثابة اللبنات الأولى في صرح هذا الأدب، وسار -على دربهما- **محمد قطب** حيث توسع في الفكرة وبسطها في كتابه **(منهج الفن الإسلامي)**[vi] الذي عد فاتحة الحديث في (الأدب الإسلامي) بوصفه جزءا لا يتجزأ من الفن الإسلامي، كما ناقشها في أكثر من موضع في كتاباته المتنوعة والمتعددة.

وواصل المسيرة -على هدي تعاليم الأساتذة الرواد- كل من **نجيب الكيلاني** بكتابه (**الإسلامية والمذاهب الأدبية) وعماد الدين خليل بكتابه (النقد الإسلامي المعاصر)،**[vii] فكان هؤلاء الرواد منطلق الدعوة

والحقيقة أن مصطلح (الأدب الإسلامي) ليس جديدا في الاستعمال زمنيا،ويتضح أن تحديد المصطلح ينطلق من زاوية نظر زمنية تاريخية دونما إلمام بالمضمون الفكري الذي كان الإسلام الدافع إليه من أجل بناء شخصية إسلامية إنسانية متكاملة عقلا ووجدانا.[viii] وقد فهم تبعا لهذه النظرة على أنه "أدب فترة لا أدب فكرة."[ix] وقصور هذه النظرة بين إذ يكمن في عد الزمن إطارا لمفهوم هذا الأدب، والإطار الزمني بمثابة الوعاء الذي يتسع لكل الأفكار والرؤى الإسلامية وغير الإسلامية. وقد وظف المصطلح مرة أخرى واتسعت دلالته لتشمل كل ما أنتجته قرائح أفذاذ الشعوب الإسلامية وجادت به أقلامهم من منظوم ومنثور، سواء أوافق التصور الإسلامي أم لم يوافقه، وهذا التحديد عرقي قومي إذ يتكئ على الجنس الذي صدر عنه هذا الأدب.

ولعل توظيف المصطلح بهذا المفهوم توظيف استشراقي -في البدء- مهد له المستشرقون ثم صادف استحسانا في نفوس المريدين ولاقى قبولا لدى المقتفين أثرهم من تلامذتهم العرب، إذ "تنتشر في كتاباتهم مصطلحات من مثل: الأدب الإسلامي، الأدب العربي، أدب الشرق المسلم، الأدب الشرقي، أدب المسلمين، شعر عالم الإسلام، وتنصرف دلالة هذه المصطلحات إلى تاريخية الأدب وجغرافيته."[x]

كل حال فالمصطلح من حيث صياغته اللغوية مألوف في البيئة الثقافية والعربية والإسلامية.

أما جدة المصطلح فتتجسد في توظيفه المعاصر بدلالة مفارقة تقتصر على الأدب الصادر عن المسلم الملتزم بمبادئ الإسلام وقيمه في شعره ونثره، وفي ضوء هذا التحديد يتنحى من دائرة الأدب الإسلامي كل أدب يخالف ما تشدو إليه دعوة الإسلام من تعاليم مشرقة ومبادئ مضيئة وقيم سامية وإن صدر مثل هذا الأدب عن مسلم.

ولم يكن موضوع الجدل حول مفهوم الأدب الإسلامي أو محتواه أو منهجه ولكن كل الجدل انصب على التسمية والاصطلاح، لأن المناخ الفكري والثقافي والأدبي في تلك الفترة من القرن الماضي لم يكن مهيئا بشكل كاف لتلقي المنظومة الاصطلاحية الإسلامية المعرفية المتنوعة كـ (الأدب الإسلامي)

ويمكننا في هذا المقام أن نورد جملة من التعريفات التي لامست هذا المفهوم:

عرّف الأستاذ **سيد قطب – يرحمه الله – الأدب بأنه:" التعبير عن تجربة شعوريّة في صورة موحية "**.

وعرّفه الأستاذ **محمد قطب -الأدب الإسلامي-** بأنه:" **التعبير الجميل عن الكون والحياة والإنسان من خلال تصوّر الإسلام للكون والحياة والإنسان".**

وعرّف الأستاذ **محمد المجذوب – يرحمه الله – الأدب بأنه:" الفنّ المصوّر للشخصية الإنسانيّة من خلال الكلمة المؤثرة "**

أما الدكتور **عبد الرحمن رأفت باشا – يرحمه الله – فقد عرّف الأدب الإسلامي بأنه:" التعبير الفني الهادف عن واقع الحياة والكون والإنسان تعبيراً ينبع من التصور الإسلامي للخالق – عز وجل – ومخلوقاته، ولا يجافي القيم الإسلامية "**

وهناك من عرف الأدب الإسلامي بأنه:**"الأدب الذي يتناول المعتقد الإسلامي وتعاليمه السمحة بالمعنى الشامل، بمعنى هو ما ينبع من روح الإسلام ومبادئه"**

وبهذا فإن الأدب الإسلامي **" هو أدب جديد من جهة وضعه في مناهج الدراسة الأدبية والدعوة إلى إقامة مذهب إسلامي في الأدب يكون الإسلام الخلفية الأصلية والتاريخ الحقيقي لنشوء هذا المذهب على غرار المذاهب الأدبية العالمية الأخرى."**

موجز خصائص الأدب الإسلامي : للأدب الإسلامي جملة ومن الخصائص والمميزات يمكن إجمالها في نقاط مختزلة بحسب ما أشار إليها بعض الباحثين كما يلي:

1- إنه أدب العقيدة الإسلامية بكل خصائصها.

2- إنه عطاء الأديب المؤمن الملتزم.

3- ميدانه الكون والحياة كلها والإنسان، الدنيا والآخرة، من خلال تصور إيمانيّ متناسق نابع من الكتاب والسنّة.

4- اللغة العربيّة هي لغته من حيث الأساس.

5- إنه أدب العلم والحق، لا أدب الوهم والخرافة والأساطير.

6-إنه أدب الواقع الذي يُفهم من خلال منهاج الله.

7- إنه أدب ممتدٌّ في حياة الإنسان مع الأجيال المؤمنة الممتدة، يُمثِّل نهجاً ممتدّاً لا قطعاً متناثرة نتصيّدها من مكانٍ إلى مكان.

8- أنه أدب إنساني لأنه ينبع من حقيقة الإنسان وفطرته، ولأنه يعالج قضاياه.

9 - إنه أدب عالمي، يستمد عالميّته من إنسانيته وامتدادها، وقوة أمته، وعالميّة رسالته.

10- إنه أدب له رسالة ربّانيّة وأهداف ربانيّة، فهو بذلك يمثِّل حاجة للإنسان كما أن الإسلام حاجة للبشرية.

11- إن هذه الخصائص تجعل منه أدباً عزيزاً لا يذلّ ولا يهون ولا ينافق ولا ينحرف ولا يكون تابعاً.

12- إنه أدب نامٍ متطور على أسس ثابتة راسخة عميقة الجذور. لا يكون نموّه انحرافاً ولا تبعية ولا هبوطاً.

13- إنه ثمرة جهد بشري وبذل ومعاناة. فهو أدب الجهاد والبذل والعطاء. وأدب الموهبة الغنيّة. وأدب الخير والصلاح لا أدب الفتنة والفساد.

14- إنه سلاح من أسلحة الإسلام وقوة عظيمة من قواه. وأدب الحق لا أدب الباطل، وأدب الكلمة الطيبة لا أدب الكلمة الخبيثة، إنه أدب الخلق الكريم.

15- إنه أدب الحب الصادق النابع من الحب الأكبر لله ورسوله.

16-إنه أدب مسؤول، وصاحبه محاسب على كلمته بين يدي الله في الآخرة، ومحاسب في الدنيا.

17- لذلك يرتبط النصّ بصاحبه، ولا يمكن فصله عنه، إنه يرتبط ارتباط أمانة وعهد ومسؤوليّة وحساب.

18- ستظل الموعظة والوصيّة والنصيحة باباً من أبواب هذا الأدب الإسلامي، مادامت ترتقي بخصائصها الفنية والإيمانية. وهي تحمل ثروة غنيّة، وجمالاً غنيّاً في تاريخ أمة الإسلام.

19– الأدب الإسلامي ليس جديداً. ابتدأ مع بعثة محمد – صلى الله عليه وسلم – بخصائصه الإيمانيّة والفنيّة وامتدَّ مع العصور، ويستأنف مسيرته اليوم.

20- إنه أدب متميّز بخصائصه الثابتة الإيمانية والفنية، لا تنحرف مع تيارات الأدب وعواصفه، يحافظ على استقلاله وعدم تبعيّته. الشعوب بحاجة إليه وإلى رسالته، أكثر مما هو بحاجة لأدبها.

إن هذه السمات والخصائص دفعت ببعض الباحثين إلى استحداث مصطلح " الأدب الإسلامي المقارن" أمثال المفكر والكاتب " الطاهر مكي " من خلال كتابه" مقدمة في الأدب الإسلامي المقارن" إلا أن الفكرة لم تنال حظها من البحث والدراسة وإن كان تهدف في جوهرها إلى جملة من الأهداف يمكن إجمالها كما يلي:

أهداف الأدب الإسلامي المقارن:

يمكننا أن نحدد ستة أهداف رئيسية لمنهج الأدب الإسلامي المقارن، نرى أنها كافية لشحذ الهمة نحو إنفاذ هذا المشروع العلمي الكبير.

الهدف الأول: وهو تعميق الشعور بوحدة الأمة المسلمة، بوصف ذلك مطلبًا شرعيًّا من جانب، ومن جانب آخر، بوصفه شرطاً ضروريًّا لأية نهضة حضارية إسلامية جادة وفاعلة وواعية.

الهدف الثاني: دراسة الظاهرات التاريخية المختلفة، التي مرَّ بها المجتمع المسلم، بدقائقها العميقة والخفية، وذلك من خلال المتابعة الفاحصة للنتاجات الأدبية المواكبة لتلك الظاهرات. وهي أحد ما يعرف لدى المؤرخين بـ«المصادر التاريخية المساعدة»؛ حيث تعتبر أدق المصادر تعبيرًا عن طبيعة الظاهرة التاريخية، لتميزها بالتلقائية والانفعال المباشر، البعيد عن التكلف والتركيب المنسق والمتعمد، الذي يشوب أعمال المؤرخين المحترفين.

الهدف الثالث: التعرف عن كثب، على خفايا علل التحولات الاجتماعية، التي واكبت مسار هذه المجتمعات المسلمة، والتي أنتجت – على الزمن – حالة التفتت والتشرذم .

الهدف الرابع: التعرف الدقيق على المسار النفسي والوجداني لمختلف شعوب الأمة، في لحظتنا الحضارية الراهنة، مما يمهد السبيل لترميم صدع البناء النفسي للمجتمع، في دقة وعمق، وبث روح الفاعلية نحو نهضة الأمة وبعثها.

الهدف الخامس: رصد الاختراقات التي أحرزتها الغزوات الثقافية والفكرية والأدبية، في فلكنا الثقافي والأدبي، بما يتيح لنا حصرَها من جانب، واستخلاص منافذها وأساليب عملها في التكوين العام للإنسان المسلم من جانب آخر، تمهيدًا لعلاج ذلك كله بصفة جذرية.

الهدف السادس: استثمار التنوع والتعدد الإبداعي وفق قاعدة حضارية واحدة في إثراء آداب شعوب الأمة، تمهيدًا لإحياء حركة نهضة عالمية للأدب الإسلامي، يتبوأ بها مقام الريادة في المجتمع الإنساني الكبير.

كما يقدمون بعض المقترحات في تتبع لمشكلات الأدب الإسلامي المعاصر تمثلت في:

أولاً: تأسيس كرسي تخصصي في جامعاتنا ومعاهدنا العليا، للأدب الإسلامي المقارن، غير مندمج في غيره، ككرسي الآداب أو اللغات الشرقية، حتى نتيح له أكبر قدر ممكن من التركيز والفاعلية.

ثانياً: وضع خطة إسلامية متكاملة، ومرتكزة على إمكانيات مادية مناسبة، لترجمة النتاجات الإبداعية الإسلامية المعاصرة، لتيسير انتقالها بين شعوب الأمة بلغاتها المختلفة، وكذلك ترجمة أبحاث ودراسات متخصصة، منتقاة حول هذه النتاجات.

ثالثاً: عرض نماذج مترجمة مختارة، لأدباء إسلاميين، قدماء ومعاصرين، من الشعوب الإسلامية المختلفة في مناهج الدراسة الثانوية – أو قانون الإلزام بوجه عام – لربط الشبيبة، بالمكونات الروحية الوجدانية لإخوانهم في الأقطار المختلفة، وهذا المطلب، تحرص على تحقيقه معظمُ الأمم الأوروبية، فطلبة المدارس الثانوية في فرنسا – على سبيل المثال – يدرسون كبار أدباء الغرب، من غير الفرنسيين، ويتعرفون على مدى ارتباطهم بالأدب الفرنسي، مع شرح نصوص أدبية مترجمة، وبيان معطياتها الحضارية الفنية.

رابعاً: تنشيط المنتديات الأدبية الإسلامية الجادة، واعدادها بصورة دورية، ورصد الجوائز التشجيعية، معنوية ومادية، للإبداعات الإسلامية الراقية، وفي هذا المجال يقع لوم كبير على كل من المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم «ايسيسكو»، والمنظمة العربية «اليسكو».

خامساً: إصدار مجلات متخصصة في الأدب الإسلامي المعاصر، تصدر بأكبر قدر من اللغات الإسلامية ذوات الانتشار، واللغات الحية الأخرى.

وهي دعوة مفتوحة لأدباء الأمة ونقادها وباحثيها، ومفكريها وعقلانها ومخلصيها، لإثراء الحوار حول هذا المطلب الإسلامي الهام، وتعميق البحث في جوانبه المختلفة، وهي دعوة مفتوحة أيضاً، لحكومات الدول الإسلامية؛ لكي يقوم كل منا بقسطه المفروض من تنشيط ذلك الجسد الحضاري والإنساني الهام.

---

[i] عبد الرحمن رأفت الباشا: نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، دار الأدب الإسلامي للنشر والتوزيع، القاهرة، ط: 4، 1418هـ-1998م، ص: 112.

[ii] أبو الحسن علي الحسني الندوي: نظرات في الأدب، دار القلم، دمشق، ط: 1، 1408هـ-1988م.

[iii] المرجع نفسه، ص: 5.

[iv] سيد قطب: في التاريخ فكرة ومنهاج، ص: 28.

[v] سيد قطب: النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، القاهرة، ط: 8، 1424هـ-2003م، ص: 114.

[vi] محمد قطب: منهج الفن الإسلامي، دار الشروق، القاهرة، ط: 8، ص: 6.

[vii] عبد الرحمن رأفت الباشا: نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، ص: 113.

[viii] المرجع نفسه، ص: 7.

[ix] مأمون فريز جرار: خصائص القصة الإسلامية، دار المنارة، للنشر والتوزيع، جدة، ط: 1، 1408هـ-1988م، ص: 13.

[x] عبد الله صالح الوشمي: جهود أبي الحسن الندوي النقدية في الأدب الإسلامي، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: 1، 1426هـ-2005م، ص: 66.